

موسم قطف الزيتون في الكفريات

## تكافل أسري وتواصل عميق مع الأرض



رَبِي عَشْتَاوِي / مَرْكَز مَعَاً

الكفريات:

4

تجارب زراعية وبيئية

لاستخدام العائلة وبيع الآخر لزبائنه في بيت لحم أو داخل الخط الأخضر، بينما يخصص أربع تنكات للزيتون المكبوس الذي يقدمه هدية لأخوته في الغربية.

تقول الزوجة أميرة التي استقرت في الكفريات حين تزوجت نبيل في التسعينيات، بعد أن عاشت في الأردن والكويت بعيداً عن أجواء الريف: "على الرغم من التعب المبدول في القطف إلا أنني انتظره كل عام، حيث أضع لمساتي الفنية على ثمر الزيتون فأحفظه مكبوساً في تنكات بطرق عدّة، فأعدّ من الزيتون الأخضر "الرصيح"، ومن الأسود "الزيتون المنخز"، وأنزع البذرة من الأخضر لأصنع "الزيتون المحشي" بالثوم والجزر والقلقل".

وفي سؤال لنبيل -الذي كان يقلم إحدى الشجرات ليسمح بأشعة الشمس دخول أحد أجزائها، مستخدماً في الوقت نفسه الأغصان وقوداً لمدفأته في الشتاء- حول المبيدات الكيماوية، أعترف باستخدامه الأمونياك مرة واحدة سنوياً للقضاء على الأعشاب الضارة، بالرغم من تشديد المرشدين الزراعيين على خيار حراثة الأرض بدلاً من قتل العشب بالمبيد، إلا أن أجرة الحراثة مكلفة للمزارع -على حد قول نبيل- حيث تبلغ يومية العامل على الجرّار الزراعي 200 شيقلاً. لكنه عاد مؤكداً استخدامه الزبل العربي المتوفر من مزرعة شقيقه.

**"أجوائنا مفعمة بالكد والصبر والعرق، وأوقاتنا مباركة كونها لأجل شجرة الزيتون، أحد كنوز فلسطين" ختم نبيل.**



ما بين أوائل الخريف من كل عام وحتى أواخره، يسود الهدوء القرى والبلدات الفلسطينية، فتخلو البيوت من قاطنيها، الذين يشدون رحالهم كل صباح، متجهين إلى حقولهم حيث يقضون فيها ساعات طوال حتى يغادروها في المساء، وذلك ضمن أجواء تتكافل فيها الأسرة الفلسطينية الريفية، وتتجلى خلالها روح العمل الجماعي، ما يشكل لوحة طبيعية تعكس ترابط الثالث المتوارث عبر الأجيال (الإنسان، الأرض والشجر). فيكون هذا التوحد مع الطبيعة والصبر في العمل سمة موسم (جد الزيتون الفلسطيني) الذي يلعبه البعض بالموسم الوطني، نظراً لما تعنيه الأرض الفلسطينية من قيمة لا تقدر بثمن.

وفي قرى الكفريات السبع شمال الضفة الغربية، لا يختلف الحال بل يتشابه مضمناً نوعاً من الطمأنينة على الإرث الفلسطيني المصان بتقدير الفلاحين لأرضهم واستفادتهم من خيراتها، حيث تتماهى الأسر في الحقول بين أغصان الزيتون وفوق السلاسل وعلى الحصائر أسفل الشجر.

من كفر زياد، زارطاقم مركز معاً عائلة غنايم التي كانت منهمكة في قطف الزيتون. حيث رحب بهن المرابي نبيل، أستاذ اللغة الإنجليزية في ثانوية كفر زياد ورئيس نادي القرية الرياضي، والذي تواجد برفقة شقيقته وزوجته وابنتيه الصغيرتين اللتين جاءتا من المدرسة بعد انتهاء الدوام للمشاركة في قطف الزيتون. من هناك تحدث نبيل عن تفاصيل موسم القطف والذي وصفه بالوطني، قائلاً: "أوائل كل خريف، تبدأ حالة التأهب لموسم القطف، عبر تحضير مستلزمات العمل من سلاسل، أكياس خيش، حصائر، منشار، مقص، عصا رفيعة، سلة طعام وقناني ماء (نظراً لبعدها عن المنزل في الأغلب)، ثم يبدأ العمل من الساعة السادسة صباحاً حتى الخامسة مساءً، على مدار سبعة أيام في الأسبوع، يتفاعل خلالها كل أفراد العائلة، ولإشراك طلبة المدارس مع ذويهم في (جد الزيتون)، تم تقليص الدوام في المدارس بقرار حكومي مدة ساعتين".

نبيل الذي يملك هو وأخوته حقلاً تبلغ مساحته 20 دونماً، يجني من عصر زيتونه ما يعادل عشرين تنكة زيت، يحتفظ بجزء منها